الحقولُ الدلاليةُ في وصية العلَّامة الحلّيّ إلى ولده ومَدَى تَلائُمها مع سياق النص العام

د. السيد فضل الله ميرقادري
مريم إشراق بور

الجمهورية الإسلامية الإيرانية / جامعة شيراز
كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

الملخص

تُعدُّ الوصية خلاصة تجارب الآخرين وإرشاداتهم التي يقدمونها لمن كانوا أقل منهم تجربة ومرتبة وعمرًا. ومنها وصِية العلَّامة الحلّيّ لولده فخر المحققين التي ذكر فيها مواضيع دينية وأخلاقية واجتماعية وعلمية.

تنوي هذه الدراسة الكشف عن الموضوعات والحقول الدلالية التي تتضمنها الوصية أولا، ودراسة صلتها بسياق النص العام وأغراضه، والتطرق إلى القضايا التي اشتركتْ في الحقول المختلفة وذكر أسبابها وذاك بالاستعانة بنظرية الحقول الدلالية.

توصلت الدراسة إلى وجود تلائم وتلاحم بين الحقول الدلالية السائدة وسياق النص العام وأغراض العلامة في مختلف الحقول. وهناك بعض القضايا المشتركة في بعض الحقول والموضوعات منها ذكر الله تعالى وهو قطب الرحى من البداية إلى النهاية، والنزعة التفاؤلية لدى العلاّمة واهتمامه البالغ بالعلم في حقول مختلفة، وقد رسم مدينة فاضلة إسلامية أو بالأحرى شيعية، وهذا ما لمسناه في الحقول الدلالية المختلفة والكلمات المتفائلة المتحشدة في كلامه في أقسامها المختلفة.

الكلمات المفتاحية:

العلَّامة الحلّيّ، الوصية، الحقول الدلالية، سياق النص.

The semantic rights in the commandment of Al-Allamah-Al-Hilli، to his son and a study of their suitability with the context of the genral text

Dr. Mr. Fadlallah Mirqadri
Maraim Ishraq-Bur
Faculty of Arts and Humanities

The commandment has become what many adults in Arab and Islamic culture hold fast to, to direct the summary of their experiences, give their instructions and mention their commandments to those who are less experienced, tidy and aged. Including the commandment of the scholarly scholar of his son, the Fakhrul Muhaqqieen in his latest book, "Qawaeid al a'hkam"The Rules of Rulings", in which he mentioned various religious, ethical, social and scientific topics.

This study intends to reveal the topics and semantic fields included in the commandment first and study its relevance to the context of the general text and its purposes and ideas prevailing on the text and address the issues that were involved in different fields and mention their reasons and that with the help of semantic fields theory.

After identifying the eight dominant fields on the text, the study concluded that there is congruence and coherence between the dominant semantic fields and the context of the general text and the writer's purposes in various fields. There are some issues we have seen common in some fields and topics, including the mention of God Almighty that we talked about which is the pole of the millennial from the beginning to the end and the optimism of the writer and his keen interest in science in different fields and several situations. In general, we have noticed that Al Allamah Al-Hilli drew an Islamic utopia or rather Shiite in writing it, and this is what we felt in the different semantic fields and the uplifting words of optimism gathered in his words in its different sections.

Key words: tag. Allamah Al-Hilli, the commandment, semantic fields, text context.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أصبحت الوصية – بصفتها فنًّا عرفه العرب قبل الإسلام – مهمةً للكثيرين منذ القدم ولاسيما كبار أهل الدين أو العلم أو السياسة أو كبار الأقوام بشكل عام، «إذ كانوا يقدمون لأبنائهم وأبناء قبائلهم خلاصة حِكمتهم وتجاربهم في الحياة. ولما جاء الإسلام ازدهر النثر الفني في مجالاته كافة، فكان الإسلام بحق السبب الأول في ازدهار النثر العربي، فكانت الوصية من بين هذه الفنون التي أثراها الإسلام مادة ومنهجًا وأسلوبًا»[1].

العلَّامة ابن المطهّر الحلّيّ هو أحد كبار العلماء، ومن مراجع الدين، وله مؤلفات كثيرة وكتب دينية عديدة، فلم يدع أرضَ آثاره فارغةً عن الوصية؛ إذ خصص صفحات من آخر كتابه «قواعد الأحكام» لتقديم شيء من الوصية لولده «فخر المحققين»، فأوصاه بأمور عديدة في حياته، كأمور عبادية، ونصائح شخصية واجتماعية، وتوصيات أخلاقية وعلمية وفكرية، متطرقا في نصه إلى قضايا شتى وحقول مختلفة.

ونظرًا لاشتمال وصية الموصي (الكاتب) على الحقول الدلالية العديدة في كتابته، جعل الباحث يتجَّهُ نحو التدقيق في مواضيع هذا النص، وتصنيفها في حقول معجمية، وتبيين الألفاظ الدلالية المتعلقّة بكل حقل، وأن سبب كثرة بعضها بالنسبة إلى سائر الحقول هو صلتها بسياق النص والأفكار السائدة عليه وعلى كاتبه. فرأينا على سبيل اللزوم التطرق إلى مثل هذه الوصايا لكبار الدين والعلم من منظار دلالي، كاشفين عن الدلالات الغالبة والأغراض الكامنة وراءها، ومدى صلتها بسياق النص وأغراض الكاتب وشخصيته.

لذا تهدفُ هذه الدراسة، الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما الحقول الدلالية السائدة في النص؟

٢. ما صلة تحشد هذه الحقول الدلالية بسياق النص وفكرة الكاتب ؟

٣. ما المفاهيم والموضوعات المشتركة بين الحقول الدلالية السائدة؟

وعلى وفق تلك الأهداف والأسئلة التي نخطو وراءها للكشف عن ردودها، اعتمدنا على نظرية الحقول الدلالية، في علم الدلالة لتكشف لنا عن الخلفيات الدلالية التي تقف وراء استعمال المؤلف لتلك المجموعات.

و في قسم التحليل سنذكر الحقول الدلالية على حدة، ثم نأتي بجدول الحقول، وبعد ذلك سنقوم بتحليل الحقول الدلالية، لنذكر صلتها بسياق النص العام.

المبادئ النظرية

إن نظرية الحقول الدلالية من نظريات علم اللغة التي قيل في تعريفها بأنه: (دراسة المعنى)، أو (العلم الذي يدرس المعنى)، أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول المعنى)[٢].

وتأتي نظرية الحقول الدلالية لتقوم بتصنيف الألفاظ أو الكلمات تحت عنوان يجمعها، ومن ثمّ يعمد الدّارس إلى البحث عن الخلفيات الدلالية التي تقف وراء استعمال المؤلِّف لتلك المجموعات، والخلفية الفكرية التي دعته لذلك الاستعمال، وبذلك فإنَّ أهمَّ ما جاءت به نظريةُ الحقول الدلالية هو التصنيف القائم على الدلالةِ المعجمية للكلمة[٣].

ويعرّفُ الباحثُ اللغوي د. أحمد مختار عمر الحقلَ الدلالي بقوله: «هو: مجموعةٌ من الكلماتِ ترتبطُ دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها». مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. تقول هذه النظرية إنه لكي

تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًّا[٤]، أو كما يقول Lyons: يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي[٥]، وهدف التحليل للحقول الدلاليّة هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلًا معينًا، والكشف عن صلاتها الواحدة بالآخرى، وصلاتها بالمصطلح العام[٦].

وهناك جملة من المبادئ تتعلّق بهذه النظرية، ذكرها أحمد مختار عمر هي:

١. لا وحدة معجميّة عضو في أكثر من حقل.

٢. لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

٣. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

٤. يستحيل أن تدرس المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي[٧].

لكنّا في هذه الدراسة استخرجنا حقولًا تشترك فيها كثير من الوحدات المعجميّة، وذلك لمّا يقتضيه النص، وموضوعاته المعنوية، والفكرية (كالحقل المتعلق بالله، وحقل الآخرة، وحقل التوصيات...) التي تتشابك فيما بينها، ولها صلة وطيدةٌ ببعضها، وهكذا أوصلنا الأمر إلى نتائج أدق وأوضح.

نبذة عن العلَّامة الحلّيّ:

«هو الشـيخ الإمام جمال الدين أبو منصور الحسـن بن يوسف بن المطهّر، المعروف بـ «العلَّامة الحلّي»، نشأ في مدينة الحلة في العراق، وفي بيت شُيدت دعائمه بالعلم والمعرفة والتقوى. وكانت أمه بنت الشيخ أبي يحيى الحسن بن يحيى: صاحب الجامع، وأخت المحقق صاحب الشـرائع. وكان والده (قدس الله روحه) فقيهًا محقّقًا مدرّسًا عظيم الشأن»[٨].

و«اتفقت المصادر على أن ولادته كانت في شهر رمضان عام ٦٤٨ هـ»[٩].

وكانت وفاته «ليلة السبت (٢١) من المحرم ٧٢٦ هـ»[١٠].

نبذة عن وصيّة العلَّامة الحُلّي إلى ولده فخر المحققين:

أورد العلَّامة الحليّ هذه الوصية لولده فخر الدين في ختام كتابه (قواعد الأحكام)، وتضم محاور وموضوعات على النحو الآتي:

قسم المقدمة: وفيها ذكر العلَّامة لولده ما فعله في كتابه (قواعد الأحكام) من تلخيصه الأحكام، وتبيين قواعد الإسلام، وإيضاح طريق السداد، بعدما دعا لولده بأدعيـة كثيرة، كقوله: أعانك الله تعالـى على طاعته، ووفّقك لفعـل الخير وملازمته، وأرشـدك إلى ما يحبّه ويرضـاه، وبلّغك ما تأمله من الخير وتتمنّاه، وأسعدك في الدارين، وحباك بكلّ ما تقرّ به العين، ومدّ لك في العمر السـعيد والعيش الرغيد، وختم أعمالك بالصالحات ورزقك أسباب السـعادات، وأفاض عليك من عظائم البـركات، ووقاك الله كلّ محذور، ودفع عنك الشرور[١١].

قسـم التوصيات: وهي ما تلت المقدمة، ووجَّه فيها العلَّامة توصيات عديدة في مختلف الموضوعات، إذ خصص كثيرًا من عباراتها بـ:

التوصيات الإلهية: ملازمة تقوى الله تعالى، اتباع أوامر الله تعالى وفعل ما يرضيه واجتناب ما يكرهه، والانزجار عن نواهيه.

التوصيات العبادية: حاسب نفسك في كلّ يوم وليلة وأكثر من الاستغفار لربّك، وعليك بصلاة الليل، وعليك بتلاوة الكتاب العزيز والتفكّر في معانيه.

التوصيات الأخلاقية: (عليك بـ) بذل المعروف، ومساعدة الأخوان، ومقابلة المسيء بالإحسان والمحسن بالامتنان، وعليك بحسن الخلق و...

التوصيات العلمية: صرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلمية، وعليك بكثرة الاجتهاد في ازدياد العلم، وإيّاك وكتمان العلم ومنعه عن المستحقين.

التوصيات الاجتماعية: واتّق دعاء المظلوم خصوصًا اليتامى والعجائز، وعليك بصلة الرحم، وعليك بصلة الذرية العلوية، عليك بتعظيم الفقهاء وتكريم العلماء.

قسم الوصية: خصص العلَّامة القسم الأخير من وصيته – وهو قصير– لوصاياه وطلباته من ابنه إذ وجه إليه بعض الطلبات لِمَا موته، ومن هذه الوصايا هي قوله: أن تتعهّدني بالترحّم...، أن تهدي إليّ ثواب بعض الطاعات، لا تقلل من ذكري...، ولا تكثر من ذكري...، واقض ما عليّ...، وزر قبري.

معجم الحقول الدلالية في وصية العلَّامة الحلّي إلى ولده:

قبل الكشف عن الحقول الدلالية التي تعج بها الوصية، توقفنا عند فحوى الوصية، فشاهدنا الموضوعات التي تطرق إليها العلَّامة في وصيته هذه، فلا يكاد يوجد جانب من الجوانب الدينية إلّا وخاض فيه؛ فرأينا مضامينها تعالج بشتى مناحي الأمور الدينية، والقضايا المتعلّقة بالعقائد، والأخلاقيات، بتفاصيل في هذه المذكّرة القصيرة.

فإنّها تحمل دلالات بعيدة المعاني من الدعاء، والتوصيات عديدة دينية، واجتهاديّة، وعلميّة، وبيان كيفية التصرف مع الآخرين، وذكر الجليس الحسن، والسوء وما إلى ذلك. وتعدّ وصيّته دعوة صريحة لكل إنسان عاقل عامةً ولكل مسلم خاصةً.

وعلى وفق ما توصلنا إليه في مجال البحث عن الحقول الدلالية في هذه الكتابة، وبعد قراءتنا المتعددة للنص، تكشّف لنا أنّه يمكن تقسيم مضامين النص المدّروس من حيث مفرداتها وعباراتها إلى ثمانية حقول بشكل عام، وتنقسم بعض الحقول إلى تقسيمات أصغر نعرضها في أدناه:

١- الحقول الدلاليّة المتعلّقة بالتوصيات والنصائح:

يعد هذا الحقل من أكثر الحقول التي احتوتها الوصية، ولا غرابة في كون الكاتب ينطلق من قاعدة أخلاقيّة دينية بنصائحه وتوصياته، لما تتطلبه الوصية أولًا، ولكونه عالمًا دينيًا ثانيًا. فلهذا أرتأينا أن نقسم هذه النصائح بشكل عام على قسمين:

القسم الأول: هي التوصيات التي تتعلّق بالموصى له وحده، ولا صلة للآخرين في إنجازها، وهي التوصيات الشخصيّة.

والقسم الآخر: يكون موجهًا للآخرين، ويُستلزم في إنجازها وجود أشخاص، وسميناه بالتوصيات الاجتماعيّة.

والجدول يظهر لنا هذا عددًا كبيرًا من الألفاظ في هذا الحقل، وهي على النحو الآتي:

أ. الحقول الدلاليّة المتعلقة بالتوصيات الشخصية

جـدول حقـول التوصيـات الشـخصية

التوصيات العبادية	التوصيات الاجتهادية
وعليـك باتّبـاع أوامر الله تعالـى وفعلِ ما يُرضيه، واجتنـاب ما يكرهه، والانزجار عـن نواهيه، وعليـك بالصبـر والتـوكُّل والرضا، وحاسـب نفسـك فـي كلّ يوم وليلة، وَأَكْثِر من الاستغفار لربّك، صلاة الليل، تلاوة الكتاب العزيز وامتثال أوامره ونواهيه.	وقطـع زمانـك فـي تحصيـل الكمالات النفسـانيّة، والارتقاء عن حضيض النقصان إلـى ذروة الكمال، والارتفـاع إلـى أوج العرفان عـن مهبط الجُهّال، وَلْيَكن يومُك خيرًا من أمسك، كثرة الاجتهاد في ازدياد العلم والفقه في الدين، والتفكّر في معانيه (القـرآن الكريم)، وتتبُّع الأخبـار النبويّة والآثار المحمّديّـة، والبحث عـن معانيها، واستقصاء النظر فيها.

تحليل جدول حقول التوصيات الشخصية:

إنَّ العبارات المتضمنة فـي هذا الحقل الدلاليّ تدفع الموصى له نحو إطاعة اللّه والتوجـه نحـوه والأعمال العباديـة أولًا، وتحصيل الكمال، والسـعي، والاجتهـاد، والتفقه، والتفكر ثانيًا، فالكلمات بعبارة أخرى توحي بالحث البالغ على الاندفاع نحو:

الاسـتقامة، والرقّي، وتحصيل الكلمات النفسـانيّة، وكثرة الاجتهاد، وعدم الرضا بحضيض النقصان ومهبط الجهال، والارتقاء إلى ذروة الكمال، والارتفاع نحو أوج العرفان.

كما لا تغفل الوصيّة التحريض على العبادة والتوجه نحو الخالق، والمعبود،

كاتباع أوامره، والانزجار عن نواهيه، ومحاسبة النفس، والاستغفار، وإقامة صلاة الليل، والصبر، والتوكل، والرضا، وتلاوة القرآن الكريم، والتفكر فيه، وأضفى على الشمول في توصياته الشخصيّة، نصيحته للاهتمام بآثار من يعدّ حبلًا متصلًا بين الأرض، والسماء، والخالق، والمخلوق، والعابد، والمعبود وهو النبي محمد ﷺ.

فإنّ تلك العبادات والتهاجيد لا قيمَة لها في رؤية المسلم، دون تتبع الآثار المحمديّة؛ إذ إنَّه هو الذي عرَّف البشَر الدينَ الأمثلَ ورَبَّ العالمين كما هو بقولِهِ، وفعلِهِ، وآثارِهِ، فلا يمكن التقدم نحو الكمال إلّا بتتبع آثاره وأخباره.

فإذا نظر الشخص إلى ألفاظ هذا الحقل بغض النظر عن النص والجمل يتسنى له أن يرشد نحو الذروة العالية التي ينويها القائل، والهدف الذي يبغيه؛ لأنها كلمات مفتاحيّة يهتدي بها القارئ نحو الطريق المنشود. فنعيد ذكر هذه الألفاظ من جديد: (قطع، تحصيل، الكمالات، الارتقاء، ذروة الكمال الارتفاع، أوج العرفان، كثرة الاجتهاد، تتبّع، البحث، استقصاء). فالحقول في هذا القسم ملائمة لمناسبة الوصية، وفكرة الكاتب فيها كثيرٌ من التوصيات والمواعظ.

ب. الحقول المتعلقة بالتوصيات الاجتماعية:

جـدول حقـول التوصيـات الاجتماعيّـة

الأوامر والإيجابيات	النواهي والسلبيات
وبـذل المعـروف، ومسـاعدة الإخوان، ومقابلة المسـيء بالإحسـان، والمحسن بالامتنـان، عليـك بملازمـة العلمـاء ومجالسـة الفضـلاء، بصلـة الرحـم، بحسـن الخُلق، صِلـة الذريّـة العلويّة، بتعظيـم الفقهـاء، وتَكْرِمـة العلماء، النظر إلى وجه العلماء، والنظر إلى باب العالم، ومجالسة العلماء.	وإيّاك مصاحبة الأرذال، معاشرة الجهّال واتَّـقِ دعـاء المظلوم خصوصًـا اليتامى والعجائـز، وإيّاك وكتمان العلم ومنعه عن المستحقّين لِبذله.

تحليل جدول حقول التوصيات الاجتماعية:

لم يكتف العلَّامة بذكر توصيات شخصيّة وعباديّة وعلميّة بحتة ومواعظ أحاديـة الجانب لولده، فهو لم يشـاهد، ولم يتعلم مثل هذا من دينه، وكبار علماء دينه، فأوصى ولده أن يتزود بالمزيد من الخصائص الإيجابيّة، والتجنب عن الخصال السلبيّة تجاه الآخرين؛ لأن المرء يعرف عند تصرفاته مع الآخرين، وحينئذ يظهر فنه.

وجدنـا أصنافًا عدة في هـذا الحقل؛ إذ عرض على ابنه ما عليه فعله تجاه هذه الأصناف، فأوصاه بالإحسان، وبذل المعروف تجاه الكثيرين، وهم:

(الإخـوان، والمحسـن، والمسـيء، والعلمـاء، والفضـلاء، والفقهـاء، والمظلومون، واليتامى، والعجائز، والرحم، والذرية العلوية).

وحذره من مجالسـة جماعة (الأرذال، والجهال)، وشـاهدنا أن أكثر من

عدَّهــم، هم جماعة أوصاه بملازمتهــم، ولم نعثر إلّا على جماعتين حذّر ولده منهما. فذاك دال على تفاؤله، وتأكيده الأشد على الصلة، والود، والإحسان إلى الآخرين، ويؤيد كلامنا هذا نصيحته له أن يقابل المسيء بالإحسان.

فحــث الأب ابنه على خير الخصال تجاه أصنــاف مختلفة من الناس، ولم يغفــل عن ذكر اليتامى والعجائز، والمظلومين، فقد حذره من دعاء المظلوم، كمــا لم يفته ذكر آفة العلــم ضمن كل هذه الأوامــر والنواهي، ألا وهي كتمان العلم ومنعه عن المستحقين، وذاك دال على اهتمامه البالغ بالعلم.

٢ - الحقول الدلاليّة المتعلّقة بالله:

جدول الحقول المتعلّقة بالله

الحقل العام	الحقل الخاص
ووفّقك اللّٰه، أرشدك، بلّغك، وأسعدك اللّٰه، وحباك، ومدّ لك، وختَم أعمالك، رزقك، وأفــاض عليك، ووقــاك اللّٰهُ، ودفــع عنــك، حَكم اللّٰه تعالــى عليّ، وقضى فيها بقدره، افترضه اللّٰه تعالى عليّ، وأمرني به حين إدراك المنيّة، فإنّ اللّٰه لا يســامح، صلّــى اللّٰه عليه وآله، إنّ اللّٰه تعالــى قد أكّــدَ، فقال تعالى، وحكم اللّٰه تعالــى بأمره، واللّٰه أعلم، واللّٰه خليفتي عليك.	أعانك اللّٰه تعالى على طاعته، بمُلازمة تقوى اللّٰه تعالى، فإنّها السُّنّة القائمة، والفريضــة اللازمة، والجُنّــة الواقية، والعُدّة الباقية، وأنفع ما أعدّه الإنسان، وعليــك باتّبــاع أوامــر اللّٰه تعالــى، والتوكُّل والرضا، الاســتغفار لربّك، واجتناب ما يكرهــه، والانزجار عن نواهيــه. وفعلِ مــا يُرضيــه، الرضا، يحبّه ويرضاه.

تحليل جدول الحقول المتعلّقة باللّه:

تحتل الحقول الدلاليّة المتعلقة باللّه المركز الثاني بين جميع الحقول المذكورة. وقد عدَّدنا كل العبارات التي تعود إلى اللّه ولها صلة مباشرة في هذا التعداد، وقسمناه إلى قسمين على النحو الآتي:

الحقل العام: ما ليست بوصية، بل وظفها العلَّامة لأغراض، كالدعاء، نحو: وفقك اللّه، وأسعدك اللّه، ورزقك، أو للوصف والحكاية كقوله: حكم اللّه تعالى علي، وافترضه اللّه، وقال تعالى، وإن اللّه لا يسامح...

الحقل الخاص: هو ما أوصى به العلَّامة أن يتم إنجازه تجاه اللّه، كطاعة اللّه، وتقوى اللّه، ووصفه، والتوكل والرضا.

ذكر العلَّامة قبل البدء بالوصية أنه يوصي لما افترضه اللّه عليه الوصية ثم بدأ يذكر ما أراد ذكره. وعلى وفق هذا يظهر لنا أن حكم اللّه تعالى هو الباعث الأول، والأقوى لكتابته هذه، وشاهدنا أن حقل النصائح هو الأول بين سائر الحقول، إلّا أنَّ مواعظه ليست إلّا ما علمه اللّه عن طريق الدين الإسلامي، فيمكن عده في الحقل المتعلّق باللّه بشكل غير مباشر.

والمركز الثاني كما نشاهد هو الحقل الحالي أو الحقل المتعلّق باللّه مباشرة. فإنَّ قطب الرحى في هذه الوصية هو اللّه مباشرًا وغير مباشر ضمن عبارات مختلفة وفي إطار توصيات شتى.

هكذا فإنَّ الحقول الخاصة باللّه وما يتعلّق به هي في المركز الأول من بداية الوصية حتى نهايتها، والجدير بالذكر أن لفظ «اللّه» تستعمل في بداية السطر الأول (أعانك اللّه)، وكذلك في نهاية السطر الأخير (واللّه أعلم بالصواب).

يمكننا القول إنَّه أدى رسالته بنجاح، إذ إنَّ العبارات، والحقول الدلاليّة متوافقة مع ما ابتغاه الكاتب، وهو امتثال ما فرضه اللّه على عباده قبل أنْ تدركهم المنيّة.

٣ - الحقول الدلاليّة المتعلّقة بالموت والآخرة:

جدول حقول الموت والآخرة

قسم التوصيات	قسم الوصية
ليومٍ تَشْخَص فيه الأبصار، ويُعدم عنه الأنصار، أوصيك، الوصية، والعُدّة الباقية، اعتراك المنايا، وختم أعمالك بالصالحات، الدارَين، فإنْ حَكم اللّه تعالى عليّ فيها بأمره (الموت)، وقضى فيها بقدره (الموت)، وأنفذ ما حكم به على العباد (الموت).	وزُر قبري، وحكم اللّه تعالى بأمره (الموت)، تتعهّدني بالترحُّم، تُهدي إليّ ثواب بعض الطاعات، ولا تُقلِّل من ذكري، ولا تُكثر من ذكري، اذكرني، واقضِ ما عليّ، وزُر قبري، واقرأ عليه شيئًا من القرآن، وكلّ كتاب صنّفته فَأَكْمِله وأصلح ما تجده من الخلل والنقصان.

تحليل جدول حقول الموت والآخرة:

لا غرو أن نجد كلمات هذا الحقل متحشدة في نصوص كهذه، إذ إنَّ الموصي يدلي بتوصياته ووصاياه مهتمًا بقضية الآخرة؛ لأنَّه يرى عمره على وشك النفاد، ولا يزعم الموت والحساب وما يتعلّق بهما بعيدًا عنه هو نفسه، كما أنه أشار إلى ذلك بقوله: «بلغت من العمر الخمسين ودخلت في عشر الستين وقَد حكم سيّد البرايا بأنّها مبدأ اعتراك المنايا»[١٢] وهو إشارة إلى الحديث النبوي حيث قال ﷺ: «معترك المنايا بين الستين والسبعين»[١٣].

وممّا يجدرُ ذكره هنا أن العلَّامة أشار إلى قضايا متنوعة، ومتعددة في جميع أقسام كلامه عندما تحدث إلى ابنه في نصائحه، ووصيّته، فتطرق

فيهمـــا إلى قضية الآخرة والموت من أبعاد شـــتى ووجهات نظر مختلفة، وهذا ما نشـــاهده في جلّ الحقول الأخرى، كحقل النصائح، والحقل المتعلق بالله المذكور آنفًا، وحقول الزمان، والمترادف، والمتضاد الذي سنتحدث عنها.

فإنـــه عند توجيهاته إلى ابنـــه أوصاه بتقوى الله وعدهُ عُدّةً باقيةً، وأنفع ما يعده الإنســـان لمثواه الأخير، كما أشـــار إلى قضايا أخرى، كإدراك المنيّة، ودعـــا له بختم الأعمـــال بالصالحات. وعند ذكره منافـــع التقوى تطرق إلى وصف القيامة بعبارتين إحداهما قرآنية، والأخرى ذكر أنّه يوم تشـــخص فيه الأبصار ويعدم عنه الأنصار.

وفي القســـم الذي يتعلّق بنفســـه وبالوصية خاصة لم يـــوص بأمر إلّا وتعلّق بالأمور الأخروية وبما بعد حياته، ونراه في هذا القســـم الذي خصصه لنفسه بالوصيّـــة وطلباته من ابنه، أنَّـــه لم يغفل عن النصيحـــة، ونصيحته هنا تبدو نصيحة اجتماعيّة تنفع ولده فحسب، وهذا دالٌّ على العلاقة الودية التي توصل بين الأب وولده.

والموقـــف هـــذا (الوصية والتحدث عن المـــوت) لا يكفّه عن الإشـــارة إلى القضايـــا العلميّة، وكتبـــه ومصنفاته، وجهوده؛ إذ يوصـــي ولده بإكمالها، وإصلاحها – بعد أنْ توافيه المنية – إنّ كان ناقصًا.

٤- الحقول الدلالية المتعلقة بالعلم والتفقه والتفكر

جدول الحقل العلمي

اعلـم، اقتنـاء الفضائل العلميّة، اسـتنباط المجهولات، ملازمة العلماء، مجالسـة الفضلاء، بتعظيـم الفقهاء، وتَكْرِمة العلماء، النظر إلى وجه العلماء، والنظر إلى باب العالم، ومجالسـة العلماء، كثرة الاجتهـاد في ازدياد العلم والفقه في الدين، والتفكّـر في معانيه (القرآن)، وتتبُّع الأخبار النبويّة والآثار المحمّديّة، والبحث عن معانيها، واستقصاء النظر فيها، والله أعلم.

تحليل جدول الحقل العلمي:

إنّ أول مـا يبتدئ به النص ويختتم هو العلم ؛إذ يبدأ العلَّامة الوصية بلفظة «اعلـم» وينهيها بقوله: «والله أَعلمُ بالصواب». وهناك كثير من المواضع التي دعا فيها العلَّامة ولده إلى البحث والتفقه وكسـب الفضائل العلمية، فهو لم يضـع جانبًا من جوانب القضايا العلمية، فيخاطب ابنه بـ«اعلم» مرة، ويطلب منـه تصريف أوقاته في اقتناء الفضائل العلميّة. فالعلم لا يُحصل إلّا بتصريف الأوقـات وكثرة الاجتهاد في ازدياد العلم وكَد الأنفس. ولا يرى العلّامة أن هذا كاف، فيوصيه بمجالسة أهل العلم، كالعلماء، والفقهاء، والفضلاء، وملازمتهـم. فإنَّ ملازمتهم فـي نظره يؤدي إلى اسـتنباط المجهولات. ويعظه بتعظيمهـم، وتكرمتهم، والنظر إلى وجههم، فإنَّ النظر إليهم عبادة، كما ورد في الأحاديث الدينية[١٤].

وحتـى عندمـا يطلب مـن ابنه أن يتلـو القـرآن يطلب منـه التفكر في معانيه، كمـا يوصيه بالتتبع في الأخبار، والآثار النبوية. وهذا كله يدل على أهمية العلم، والبحث، والتفكر في رؤية العلَّامة، وعدم الغفلة عنه من بداية كلامه حتى نهايته.

٥- الحقول الدلالية المتعلقة بالألفاظ والعبارات الإيجابية والسلبية:

جـدول حقـول الإيجابيـات والسـلبيات

العبارات الإيجابية	العبارات السلبية
أعانك، وفّقك، لفعل الخير ومُلازمته، أرشـدك، يحبّـه ويرضـاه، تحصيـل الكمـالات، الارتقـاء، الارتفـاع، أوج العرفـان، ذروة الكمـال، مَلَكةً راسـخة، الفضـلاء، العلماء، بالصبر، والتوكُّل والرضا، اسـتنباط المجهولات، السعيد، بلّغك، أسعدك، تأمله، الخيـر، تتمنّاه، حباك، تقرّ به العين، العمر السعيد، العيش الرغيد، الصالحات، رزقك، أسباب السعادات، أفـاض عليـك، عظائـم البـركات، نهج الرشـاد، وطريق السداد، بحسن الخُلق، الامتنان، الإحسـان، مودّتهم، بتعظيم وتَكْرِمة، الترحم، الصواب، والسـلام عليك ورحمة الله وبركاته، تُهـدي، ثواب، حـثّ عليها، بحسـن الخُلـق، أجـر، والإرشـاد، عبـادة، الاجتهـاد، ازدياد العلم، فـي الدين، التفكر، تتبع الأخبار.	معاشرة الجهّال، خُلُقًا ذميمًا، وملكةً رديئـة، محذور، الشـرور، واتَّقِ دعاء المظلـوم، كتمـان العلـم ومنعـه عن المسـتحقّين لِبذلـه، الغـدر، العجز، أهل الغرم، حضيض النقصان، مهبط الجُهّـال، إيّـاك، مصاحبـة الأرذال، الخلل والنقصان والخطأ والنسيان.

تحليل جدول حقول الإيجابيات والسلبيات:

تربو نسبة توظيف العبارات والألفاظ الإيجابية في هذا النص على ثلاثة أضعاف بالنسبة إلى الألفاظ السلبية. فإن العلَّامة أراد أن يبشر أكثر من أن ينذر، ويقومَ بالتشجيع أكثر من التنبيه والإنذار.

تدلنا الألفاظ الخاصة بالحقل الإيجابي على رؤية العلَّامة المتفائلة في توصياته؛ فإنّه أوصى ولده بملازمة الشخصيات الإيجابيّة أكثر من تحذيره من الشخصيات السلبية، فحثهُ على الوصول إلى ذروه الكمال، وأوج العرفان أقوى من نهيه عن الخوض في حضيض النقصان ومهبط الجهال، وقوله: «عليك» أشد وقعًا من قوله «إياك»، كما آثر أن يوجه المخاطب نحو محض الكمال على الرغم من أنّه لم يغفل عن ذكر الأخطار.

٦- الحقول الدلاليّة المتعلّقة بالترادف والتضاد

يعد هذان الحقلان من الحقول الدلاليّة التي لها وقع في ترسيخ معاني الألفاظ.

أ. حقول المترادفات:

جدول حقول المترادفات

لفعل الخير ومُلازمته، يحبّه ويرضاه، حَكم وقضى وأنفذ، افترضه اللّه وأمرني به، السُنّة القائمة، والفريضة اللازمة، والجُنّة الواقية، والعُدّة الباقية – ليوم تَشْخَص فيه الأبصار، ويُعدم عنه الأنصار، خُلُقًا ذميمًا، وملكةً رديئة، حثّ عليها، وندبَ إليها، الرسالة والإرشاد – بتعظيم الفقهاء، وتَكْرِمة العلماء، كتمان العلم ومنعه، بتلاوة الكتاب العزيز، والتفكّر في معانيه، وامتثال أوامره ونواهيه، وتتبُّع الأخبار النبويّة والآثار المحمّديّة، والبحث عن معانيها، واستقصاء النظر فيها، بالصبر والتوكُّل والرضا، فَأَكْمِله وأصلح، الديون الواجبة والتعهّدات اللازمة، في خَلواتك وعقيب صلواتك، الخلل والنقصان والخطأ والنسيان.

تحليل جدول حقول الترادفات:

فظاهرة الترادف التي حفلت بها الوصيّة لها دور جليّ في تأكيد المعاني وتوضيحها، والتي يريد العلّامة أن تبقى في ذهن ابنه المتلقي، ولاسيما في قضية تقوى اللّه وما يتعلّق بالعلم والتفكر والتتبع إذ ذكرها مرات متعددة في حقول مختلفة، كالحقل المتعلّق بالتوصيات، والحقل المتعلق بالعلم، والحقل المتعلق منه بالمفاهيم الإيجابية.

ونلاحظ أن العبارات المترادفة الإيجابية أكثر من السلبية وقد أوضحنا السبب في القسم الماضي عن السلبيات، والإيجابيات.

ب. حقول التضاد:

جدول حقول التضادات

حضيض النقصان، ذروة الكمال، أوج العرفان، مهبط الجُهّال
– إيّاك، عليك بـمصاحبة الأرذال، ملازمة العلماء
ـ معاشرة الجهّال، مجالسة الفضلاء
ـ خُلُقًا ذميمًا وملكةً رديئة، مَلَكةً راسخة
– الحاضر، الباد– والجُنّة الواقية، ليوم تَشْخَص فيه الأبصار
ـ العُدّة الباقية، يوم يُعدم عنه الأنصار – ولا تُقلِّل، ولا تُكثر
– أهلُ الوفاء، أهل الغرم.

تحليل جدول حقول التضادات:

اللفـظ أحيانًا لا يتضح إلَّا بإيـراد ضده فتتضح الصورة ويزداد المعنى قوةً، وهذا ما نشـاهده في أَلفـاظ وعبارات كثيرة من الوصيـة؛ إذ أتى الكاتب بالتضاد إما بعد العبارة المتضادة مباشرة، وإما في قسم آخر من نص الوصية، فيبدو استعماله هذه التضادات ضروريًّا وملائمًا لسياق النص.

فلا يصل الإنسـان إلى ذروة الكمـال إلَّا إذا ارتقى عن حضيض النقصان (حضيـض النقصان ـ ذروة الكمال)، وكل مَنْ وَصَـل إلى درجة عالية يعدّ منطلقـه الأول الذي انطلق منه هو مكانة حضيضـة، وإن كانت عالية في رؤيتنـا. ولا يحصل الارتفاع إلى أوج العرفـان إلَّا بالابتعاد عن مهبط الجهال، كما ذكر العلَّامة.

وبعـض الأمـور لا تجتمع معًـا، كمصاحبة الأرذال، وملازمـة العلماء، ومعاشـرة الجهال، ومجالسـة الفضلاء، وهذا ما جعل الوالـد يوضح الأمر الإيجابي باسـتعمال ضده، أو يحذر عن السـلبيات تجاه الإيجابيات، فينصح

ابنه بملازمة بعض الأشخاص وتجنب بعضهم الآخر؛ لأنه لا يجتمع النقيضان.

كما نشاهده في موضع آخر يوصي ابنه بملازمة تقوى الله معتبرًا إياه عدّة باقية ليوم تشخص فيه الأبصار، فالعدّة الباقية تأخذ الشخص إلى الفوز والاطمئنان، بَينما ما سنلتقي به في يوم تشخص فيه الأبصار هو الخسارة والخوف. فالعلّامة يوصي، ويرسم لابنه قضايا إيجابية، وأضدادها حتى يستدرك ما ينويه، كما يحق استدراكه والمعروف أن الأشياء تعرف بأضدادها.

٧- الحقول الدلالية المتعلقة بالزمان

جدول حقول الزمان

ليومٍ تَشْخَص فيه الأبصار، كلّ يوم وليلة
يومُك، أمسك
تزيد في العمر، العمر، العمر الخمسين
عشر الستّين، وقطع زمانك، وصرف أوقاتك
بعض الأوقات، قبل إتمامه، وعقيب صلواتك.

تحليل جدول حقول الزمان:

إنَّ أهم ما يدركه الموشك على نهاية عمره، ولا يدركه الباقون هو مضي العمر وقضاء الزمن، وهذا ما جعل الزمان عنصرًا مهمًّا يتجسد ظهوره في النص جليًّا في (١٤) مرَّة، بعبارات عديدة وفي أقسام مختلفة من كلام صاحبه. فيوظفه مرة لوصف القيامة بقوله: «يوم تشخص فيه الأبصار»، ومرة للأمر بالقيام بأعمال، كمحاسبة النفس في كل يوم وليلة، أو إنجاز بعض الأعمال العبادية، كصلاة الليل، والتنبيه على التقدم في كل يوم بالنسبة

إلــى الأيام المنصرمــة، بقوله: ليكن يومك خيرًا من أَمســك، كما لا يفوته النصيحة بانتهاز الفرص، وصرف الأوقات في اقتناء الفضائل العلمية، وقطع الزمان في تحصيل الكمالات النفسانية.

اســتعمل لفظة العمــر ثلاث مرات، فهذا يدلُّ علــى أهمية العمر لديه؛ إذ مضى أكثره ولم يبق منه الكثير، فيعرف قدره وثمنه.

٨- الحقول الدلالية المتعلقة بالشخصيات والأصناف

رأينا حقل الشخصيات من الحقول المتجسدة في كلامه؛ إذ أتى بشخصيات عامة، وشخصيات خاصة في أثناء كلامه من البداية إلى النهاية.

جدول حقول الشخصيات والأصناف

الشخصيات العامة	الشخصيات الخاصة
الجُهّال، الإخوان، المسيئ، المحســن، الأرذال، الفقهاء، العلمــاء، الفضلاء، المظلــوم، اليتامى، العجائــز، الرحم، الذريّة العلويّة	اللّه تعالــى، رســول اللّه ﷺ، الإمــام الصادق عليه السلام، أمير المؤمنين عليه السلام، الموصي (العلَّامة)، الموصى له.

تحليل جدول حقول الشخصيات:

فللشخصيات مراتب يمكننا ترتيبها في طبقات كما يلي:

الشخصيات السلبية: الأرذال، والجهال، والمسيء.

الشخصيات الضعيفة: العجائز واليتامى والمظلوم.

شــخصيات الوصيــة: الموصي وهو العلَّامــة، والموصى له وهــو ولده فخر المحققين.

الشــخصيات الإيجابيــة: الإخــوان، والمحســن، والعلمــاء، والفضلاء، والفقهاء، والرحم.

الشـــخصيات المقدســـة: اللّه تعالى، رســـول اللّه ﷺ، أمير المؤمنين ﷺ، والإمام الصادق ﷺ، والذرية العلوية.

لـــم يغفل الكاتب عن ذكر الشـــخصيات المختلفة وذات الطبقات المتعددة في كتابته، ووصيته؛ إذ ذكر اللّه ورسوله وذكر الأرذال والجهال.

وما نشاهده هنا أن تلك النزعة التفاؤلية التي أشرنا إليها في بعض الحقول فإنها الســـائدة في هذا الحقل أيضًا؛ إذ لم يذكر إلّا أصنافا ثلاثة من الطبقة الســـلبية، وهم الأرذال، والجهال، والمســـيء. ويزداد في تفاؤُله عندما نعرف أنَّه عندما ذكر المســـيء أراد من ابنه الإحســـان نحوه ولم يطلب منه مجانبته والابتعاد عنه.

إنّنا نعتقد أنّه رســـم مدينة فاضلة إسلاميّة أو بالأحرى شيعيّة في كتابته، وهذا ما لمسناه في الحقول الدلاليّة المختلفة، والكلمات المتفائلة المتحشدة في كلامه في أقسامها المختلفة.

ويتجلّى لنا الأمر هنا أكثر، لأنه لم يكتف بذكر الشخصيات المقدسة، والإيجابيـــة فحســـب، بل لـــم يغفل عن الاهتمـــام بطبقة ضعيفـــة لا تهتم بهم الحكومات، والدول، وهـــم اليتامى، والعجائز، والمظلومون الذين هم وارثو الأرض في رؤية المســـلمين بحسب هذه الآية القرآنية: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[١٥]. وهذا ما ســـوف يتحقق في مدينة فاضلة تنتظرهُ الأمم بمختلف العقائد. وهؤلاء الأشخاص هم من يهتم بهم مواطنو المدينة الفاضلة؛ إذ يصبحون أقوياء ذوي قدرات.

النتائج:

توصلنا في بحثنا هذا إلى نتائج هي:

١. الحقول الدلالية السائدة في النص هي ثمانية عموما:

حقل التوصيات والنصائح الشخصيّة، والاجتماعية، والحقل المتعلق باللّه، وحقل الموت والآخرة، والحقل العلميّ، وحقل السلبيّات والإيجابيات، وحقل المترادف والتضاد، وحقل الزمان، وحقل الشخصيات.

٢. وجدنا ثمّة تلائمًا، وتلاحمًا بين الحقول الدلاليّة السائدة وسياق النص العام، وأغراض الكاتب على وفق ما يأتي:

الحقول الدلاليّة الخاصة باللّه، وما يتعلق به بشكل عام هي المركز الأول من بداية الوصية حتى نهايتها مباشرة وغير مباشرة؛ وكذا هدف الكاتب من كتابته هذه، هو امتثال أمر اللّه كما أشار. فيمكننا القول إنّه أدى رسالته بنجاح؛ إذ إنَّ العبارات والحقول الدلاليّة متوافقة مع ما ابتغاه الكاتب، وهو امتثال ما افترض اللّه على عباده قبل أن تدركهم المنيّة.

٣. هناك بعض القضايا المشتركة في بعض الحقول، والموضوعات منها:

- ذكر اللّه تعالى الذي تحدثنا عنه وهو قطب الرحى في طول الوصية من البداية إلى النهاية.
- ثم النزعة التفاؤلية لدى الكاتب؛ إذ لمسنا منه ذلك في طول الوصيّة إذ لا يستعمل الألفاظ السلبية إلّا قليلًا، ولم يذكر إلّا ثلاثًا من الطبقات السلبية، وهم الأرذال، والجهال، والمسيء. ويزداد في نظرته التفاؤلية عندما نعرف أنّه عندما ذكر المسيء أراد من ابنه الإحسان تجاهه، ولم يطلب منه مجانبته والابتعاد عنه.

- ومنهـا اهتمامـه البالغ بالعلم في حقول مختلفـة ومواقف عدّة؛ إذ نجده ضمن التوصيات الشخصية، والتوصيات الاجتماعية، وحتى في موقفه الأخيـر مـن نصه، وهو وصايـاه المتعلقة بنفسـه، ولا يغفل عن ذكر القضايا العلمية.

٤. لاحظنا أنَّ العلَّامة رسـم مدينة فاضلة إسلامية، أو بالأحرى شيعيّة في كتابتـه، وهذا ما لمسـناه في الحقول الدلاليّـة المختلفة، والكلمات المتفائلة المتحشدة في كلامه في أقسامها المختلفة. ولم يكتف بذكر الشـخصيات المقدسـة والإيجابيّة فحسـب، بل لم يغفل عن الاهتمام بالطبقة الضعيفة التي لا تهتم بهم الحكومات والدول، وهم اليتامى، والعجائـز، والمظلومون. وهؤلاء الأشـخاص هم مـن يهتم بهم مواطنو المدينة الفاضلة؛ إذ يصبحون أقوياء ذوي قدرات.

الهوامش:

١. الوصايا في صدر الإسلام، ص ٢٠٦.
٢. علم الدلالة ١١.
٣. معجم الحقول الدلالية، ٢٠١٤.
٤. علم الدلالة ٧٩ نقلًا عن semantic fields ص١.
٥. المصدر نفسه: ١٨٠، نقلًا عن theoty of meaning ص ١٤.
٦. المصدر نفسه، نقلًا عن semantic fields ص٢٢.
٧. نفسه، نقلًا عن semantic: Lyons ١/ ٢٦٨، ٢٦٩.
٨. نهاية الأحكام، ١/ ٥-٦.
٩. تحقيق وصية العلَّامة الحليّ، مجلة (تراثنا)، ع٤١ ـ ٤٢، ص٤١٣.
١٠. الفوائد الرجالية ٢/ ٢٥٧.
١١. تحرير الأحكام، ١/ ١٥١.
١٢. المصدر نفسه.
١٣. المجازات النبوية ٣٣٦.
١٤. أمالي الطوسي ١/ ٤٥٤.
١٥. القصص: ٥.

المصادرُ والمراجعُ

القرآن الكريم.

الكتب:

١. الأمالي: الطّوسي، محمّد بن الحسن، تحقيق مؤسسة البعثة. قم: دار الثقافة، ١٤١٤هـ

٢. تحرير الأحكام: العلّامة الحلي (٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، ط١، مطبعة اعتماد، ١٤٢٠هـ

٣. شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل: المرعشي، السيد، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، د. ت.

٤. علم الدلالة: مختار عمر، أحمد، ط٥. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م.

٥. الفوائد الرجالية: بحر العلوم، السيد مهدي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم حسين بحر العلوم. طهران مكتبة الصادق، ١٤٠٥هـ

٦. المجازات النبوية: الرضي، الشريف، تحقيق والشرح طه محمد الزيني. قم، مكتبة بصيرتي،.

٧. نهاية الإحكام في معرفة الأحكام: الحلي، أبو منصور. ط٢. قم: مؤسسة إسماعيليان، ١٤١٠هـ

الدوريات:

١. تحقيق وصية العلّامة الحلي إلى ولده فخر المحققين: الطائي، محمد. مجلة (تراثنا) العددان ٤١-٤٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، د. ت.

٢. معجم الحقول الدلالية في قصيدة «في أذن الشرق» للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة: ابن زيادي، عمر، مجلة (عود الند). العدد ٨٥. الجزائر: د. علي الهواري، ٢٠١٣م.

٣. الوصايا في صدر الإسلام: د.محمد التمر، علي حسين، مجلة تكريت للعلوم. المجلد ٢٠، العدد١، جامعة الموصل: كلية التربية، ٢٠١٢م.